كيف تفسّر
الآيات المتشابهات





كيف تفسّر الآيات المتشابهات

مُلتزم الطبع

شركة دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

الطبعة الثانية

١٤٢٧هـ/٢٠٠٦ر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله القائل ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۝٧﴾ [سورة ءال عمران] والصلاة والسلام على من بيّن الحقائق وأزال عنا الشبهات من أنار به ربه الأفئدة ومحا عن أعيننا الظلمات.

أما بعد، فقد شذ كثير من الناس في هذا الزمان وأخذوا يتلون القرءان من غير علم به وبالأحكام وتجرأوا على تفسير الآيات وهم لا يميزون بين المحكمات والمتشابهات. فاغتروا وظنوا أنهم وصلوا إلى ما قد وصل إليه العلماء فهؤلاء التحذير منهم واجب إن كان باللسان أو بالبيان. فقد أخرج الحاكم عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»**.

وكثير من هؤلاء المدّعين يرون التلقي مشافهة

من الجهابذة النبهاء عادة القدماء وأن هذا العصر يغني عن الاستماع والإملاء، وانتشار الكتب يوجز الوقت ويريح العلماء، وأقول من رأى طفلا استغنى عن معلم وقرأ كتابًا، ومن تخصص بفن وصار بؤبؤًا وكان شيخه الكتاب، وأنصِت أيها النبيه إلى قول الشيخ عبد الغني النابلسي:

«لا تحسبن أن بالكتب مثلنا ستصير فللدجاجة ريش لكنها لا تطير».

وقال الشاعر:

وما كل من هز الحسام بضارب
ولا كل من أجرى اليراع بكاتب

وروي أن عاصم بن أبي النّجود الكوفي من القراء مرّ على رجل فسمعه يقرأ: قُرَيْق في الحبة وَقُريق في الشعير، أراد أن يقرأ قوله تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾ [سورة الشورى].

فأنكر عليه فقال الرجل اسكت هذه قراءة عاصم.

الآياتُ المُتَشابِهَةُ

المُتَشَابِهُ هُو مَا لَم تَتَضِح دِلالتُه أوْ يَحتَمِلُ أَوْجُهًا عَدِيْدَةً واحتَاجَ إلى النَّظَر لِحَمْلِهِ علَى الوَجْهِ المُطَابِقِ كقَولِه تَعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾.

فالمتشابهُ هو الذي دِلالتُهُ على المرادِ غيرُ واضحةٍ، أو كان يحتمِلُ بحسبِ وضعِ اللغة العربيةِ أوجهًا عديدةً، واحتيج لمعرفةِ المعنى المرادِ منه لنظرِ أهلِ النَّظرِ والفهمِ الذين لهم درايةٌ بالنُّصوصِ ومعانيها ولهم درايةٌ بلغةِ العربِ فلا تخفى عليهم المعاني إذ ليس لكلّ إنسانٍ يقرأ القرءان أن يفسّرهُ. وليس المرادُ بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] أنه جالسٌ على العرشِ ولا أنه مستقرٌّ عليه ولا أن الله بإزاءِ العرشِ بل كلٌّ هذا لا يليقُ بالله، نعتقدُ أن الله استوى استواءً على العرشِ يليقُ به ولا نعتقدُ بشيءٍ من هذه الأشياءِ الجلوسَ والاستقرارَ والمحاذاةَ.

وَقَوْلِه تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ١٠﴾ [سورة فاطر] أيْ أَنَّ الكَلِمَ الطَّيِّبَ كَلا إلٰهَ إلا الله يَصْعَدُ إلى مَحَلّ كَرَامَتِه وهُوَ السَّمَاءُ، والعَمَلُ الصَّالِحُ يرفَعُه أي الكلمُ الطيبُ يرفَعُ العملَ الصالحَ وَهَذَا مُنْطَبِقٌ ومُنْسَجِمٌ مَعَ الآيَةِ المُحكَمَةِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ١١﴾.

هذا من المتشابهِ الذي يعلَمُ معناهُ الرَّاسخونَ، فالكلمُ الطَّيّبُ هو كلا إلٰه إلا الله والعملُ الصّالحُ يشمَلُ كلَّ عملٍ صالحٍ يُتقرَّبُ به إلى الله كنحو الصلاةِ والصدقةِ وصلةِ الرحمِ، فالمعنى أن كلَّ ذلك يصعدُ إلى الله أي يتقبَّلُهُ، هذا ليسَ فيه أن الله له حيّزٌ يتحيّزُ فيه ويسكنُهُ.

فالسَّماءُ محلُّ كرامةِ الله أي المكان الذي هو مشرَّفٌ عند الله لأنها مسكنُ الملائكةِ، هذا التَّفسيرُ موافق للآية المحكمة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ١١﴾.

فَتَفْسِيرُ الآيَاتِ المُتَشَابِهَةِ يَجبُ أنْ يُرَدَّ إلى

الآيَاتِ المُحْكَمَةِ، هَذا في المُتَشَابِهِ الذي يَجُوزُ للعُلَماءِ أَنْ يَعْلَمُوهُ أي أن من أرادَ أن يُفسّرَ المتشابهَ يجبُ أن يكونَ موافقًا للآياتِ المحكماتِ كتفسيرِ الاستواءِ بالقهرِ فإنه موافقٌ للمحكماتِ، كذلك تفسيرُ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴿١٠﴾﴾ بمحلّ كرامتِهِ وهي السَّماءُ موافقٌ للمحكمات.

فَهُنَا مَسلكَانِ كُلٌّ مِنهُمَا صَحِيحٌ: الأوّلُ: مَسْلَكُ السَّلَفِ: وهُم أهلُ القُرونِ الثلاثَةِ الأُولى أي أكثرهم فإنَّهُم يُؤوّلونَها تأويلًا إجماليًّا بالإيمانِ بها واعتِقَادِ أنها ليسَت من صفاتِ الجسمِ بل أنَّ لَها مَعْنًى يَليقُ بجَلالِ الله وعظَمَتِه بلا تعْيِينٍ، بَلْ رَدُّوا تِلْكَ الآيَاتِ إلى الآياتِ المحكَمَةِ كقولِهِ تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى].

السلفُ من كَانَ من أهلِ القرونِ الثّلاثةِ الأُولى قرن أتباعِ التَّابعينَ وقرن التّابعينَ وقرن الصَّحابةِ وهو قرن الرسولِ، هؤلاءِ يسمَّونَ السلفَ ومن جاءوا بعدَ ذلكَ يسمَّونَ الخلفَ، ومن العلماءِ من حَدَّ هذا

بالمائتين والعشرين سنةً من مبعثِ الرّسولِ ومنهم من حَدَّ هذا بالمئاتِ الثَّلاثةِ الأولى. فالسّلفُ الغالبُ عليهم أن يؤوّلوا الآيات المتشابهة تأويلاً إجماليًّا بالإيمانِ بها واعتقادِ أن لها معاني تليقُ بجلالِ الله وعظمتِهِ ليست من صفاتِ المخلوقينَ بلا تعيين كآيةِ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ و﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ۝١٠﴾ وحديثِ النزولِ بأن يقولوا بلا كيفٍ أو على ما يليق بالله أي من غير أن يكونَ بهيئةٍ من غير أن يكونَ كالجلوسِ والاستقرارِ والجوارحِ والطُّولِ والعرضِ والعمقِ والمساحَةِ والحركةِ والسكونِ والانفعالِ مما هو صفةٌ حادثةٌ. هذا مَسلكُ السّلفِ رَدُّوها من حيثُ الاعتقادُ إلى الآياتِ المحكمةِ كقوله تعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ۝١١﴾ وتركوا تعيينَ معنًى معيَّنٍ لها مع نفي تشبيهِ الله بخلقِهِ. قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري[1] فيعتقد سلف الأئمة وعلماء السنة

(١) انظر فتح الباري (٧/ ٩٨).

من الخلف أن الله منزه عن الحركة والسكون والتحول والحلول ليس كمثله شىء اهـ.

وأما الآيات الكريمة التي اخترنا تفسيرها فهي مجموعة من الآيات المتشابهات في صفات الله تعالى وءايات الأحكام، وفي صفات الأنبياء عليهم السلام، والله الموفق وهو نعم النصير.

ءايات من سورة البقرة

١ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾.

ذكر الإمام فخر الدين الرازي في التفسير الكبير قال:

قوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴿١٥﴾﴾ أن ما يفعله الله بهم جزاء على استهزائهم سماه بالاستهزاء، لأن جزء الشىء يسمى باسم ذلك الشىء، قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الشورى] والتأويل الثاني أن ضرر

استهزائهم بالمؤمنين راجع عليهم وغير ضار بالمؤمنين فيصير كأن الله استهزأ بهم.

تفسير الإحاطة

١ - قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ١٩﴾ [سورة البقرة].

٢ - قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ٤٧﴾ [سورة الأنفال].

٣ - قال تعالى: ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ٢١﴾ [سورة الفتح].

٤ - قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠﴾ [سورة البروج].

٥ - قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطُۢ ٥٤﴾ [سورة فُصلت].

اعلم وفقك الله أن ربنا عزَّ وجلَّ ليس متحيزًا بمكان ولا ينتقل من جهة إلى أخرى ولا يفرغ

مكانًا ولا يملأ مكانًا وأنه سبحانه وتعالى منزه عن صفات الحوادث من جواهر وأعراض. وأكثر المفسرين وقفوا عند ءايات الإحاطة بإحاطة العلم بدليل قوله تعالى: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝١٢﴾ [سورة الطلاق].

وذكر شيخنا العبدري لطف الله به في كتاب الدليل نقلا عن كتاب التذكرة الشرقية للإمام أبي نصر القشيري ما يلي:

فإن قيل إن الله يقول ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] فيجب الأخذ بظاهره قلنا الله يقول أيضًا ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۝٤﴾ [سورة الحديد]، ويقول تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ ۝٥٤﴾ [سورة فصلت]. فينبغي (أي على مقتضى كلامهم) أن نأخذ بظاهر هذه الآيات حتى يكونَ على العرش وعندنا ومعنًا ومحيطًا بالعالم محدقًا به بالذات في حالة واحدة والواحد يستحيل أن يكون في حالة بكل مكان اهـ. كلام القشيري.

وهاكم التفاسير التي وردت في تلك الآيات:
قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩﴾ أي أنه لا يفوته أحد منهم فالله جامِعُهُمْ يوم القيامة، ومثله قوله تعالى: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ قال مجاهد وقيل إنه تعالى لا يخفى عليه ما يفعلون .

وأما قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ ٤٧﴾ فيه وعيد وتهديد، يعني أنه تعالى عالم بجميع الأشياء، لا يخفى عن علمه شيء لأنه محيط بأعمال العباد كلها، فيجازي المحسنين ويعاقب المسيئين.

وقوله تعالى: ﴿قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَاۚ ٢١﴾ أحاط بها علمًا أنها ستكون من فتوحكم (قيل فتح خيبر وقيل فارس والروم وقيل مكة) وقيل حفظها لكم ومنعها من غيركم حتى فتحتموها.

وقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ مُّحِيطُۢ ٥٤﴾ أي عالم بجميع المعلومات من المخلوقات

فيعلم بواطن هؤلاء الكفار وظواهرهم ويجازي كل أحد على فعله بحسب ما يليق به، إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر .

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾﴾ أي عالم بهم لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، يقدر أن ينزل بهم ما أنزل بمن كان قبلهم .

٢- **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴿٢٦﴾﴾ كان هذا جوابًا على إثر قول الكفار لرسول الله ﷺ على ما ذكره بعض أهل التأويل فقالوا: ما يستحي ربك أن يذكر البعوض والذباب ونحوها مما يصغر في نفسه وملوك الأرض لا يذكرون ذلك، ويستحون؟ فقال عزَّ وجلَّ جوابًا لقولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ ﴿٢٦﴾﴾ الآية لأن ملوك الأرض إنما ينظرون إلى هذه الأشياء بالاستحقار لها والاستذلال فيستحون من ذكرها على الانكفاف والأنفة .

والله عزَّ وجلَّ لا يستحي عن ذلك، لأن الأعجوبة في الدلالة على وحدانية الله تعالى وربوبيته في خلق الصغير من الحبّة والجسم أكبر من الكبار منها والعظام، لأن الخلائق لو اجتمعوا على تصوير صورة من نحو البعوض والذباب وتركيب يحتاج إليه من الفم والأنف والرجل واليد والمدخل والمخرج ما قدروا.

فأولئك لم ينظروا إليها لما فيها من الأعجوبة واللطافة، ولكن نظروا للحقارة والخساسة أنفًا منهم وانكفافًا.

٣ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة البقرة].

قال الفخر الرازي في التفسير الكبير: الاستواء في كلام العرب قد يكون بمعنى الانتصاب، وضده الاعوجاج، ولما كان ذلك من صفات الأجسام،

فالله تعالى يجب أن يكون منزهًا عن ذلك، ثم قال: ولمَّا ثبت هذا وجب التأويل وتقريره أن معنى ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٩﴾﴾ أي خلق بعد الأرض السماء. نقول أوجد السماء بعد الأرض.

٤ ـ تفسير قوله تعالى إخبارًا عن الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة البقرة].

ذكر ابن الجوزي في زاد المسير أن الملائكة قالوه لاستعلام وجه الحكمة، لا على وجه الاعتراض وقيل إن ظاهر الألف الاستفهام، دخل على معنى العلم ليقع به تحقيق، قال جرير:

ألستم خير من ركب المطايا

وأندى العالمين بطون راح

معناه أنتم خير من ركب المطايا.

٥ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ [سورة طه].

قال شيخنا العبدري رحمه الله: تجب العصمة للأنبياء من الكفر والكبائر وصغائر الخسة والدناءة كسرقة لقمة. وتجوز عليهم ما سوى ذلك من الصغائر ،وهذا قول أكثر العلماء كما نقله غير واحد وعليه الإمام أبو الحسن الأشعري .

فإن قيل إننا مأمورون بالاقتداء بهم فلو كانوا يعصون للزم الاقتداء بهم في المعصية ولا يعقل ذلك. فالجواب أنهم ينبهون فورًا فلا يقرون عليها بل يتوبون قبل أن يقتدي بهم أحد فزال المحذور.

٦ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة البقرة].

قال الخازن في تفسيره الآية ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ ﴿٤٦﴾﴾ أي يستيقنون وقيل يعلمون ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴿٤٦﴾﴾ يعني في الآخرة وفيه دليل على ثبوت رؤية الله تعالى في الآخرة ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ يعني بعد الموت فيجزيهم بأعمالهم.

٧ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [سورة البقرة].

قال ابن الجوزي في زاد المسير: قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴿٨١﴾﴾، بلى: بمنزلة «نعم» إلا أن «بلى» جواب النفي، و «نعم» جواب الإيجاب. قال الفراء: إذا قال الرجل لصاحبه: ما لك علي شيء، فقال الآخر: نعم: كان تصديقًا أن لا شيء له عليه ولو قال: بلى: كان ردًا لقوله.

ومعنى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴿٨١﴾﴾: بلى من كسب قال الزجاج: بلى ردٌّ لقولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴿٨٠﴾﴾ والسيئة ها هنا الشرك. ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِۦ ﴿٨١﴾﴾ أي أحدقت به خطيئته قال عكرمة: مات ولم يتب منها.

٨ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ

﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [سورة البقرة].

ذكر الفخر الرازي في التفسير الكبير: قيل إن هذه الآية نزلت في أمر يختص بالصلاة وهو المروي عن كافة الصحابة والتابعين وقولهم حجة، وظاهر قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ ﴿١١٥﴾﴾ يفيد التوجه إلى القبلة في الصلاة ولهذا لا يعقل من قوله ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴿١٤٤﴾﴾ إلا هذا المعنى. وقال بعض المفسرين: إنه تعالى أراد به تحويل المؤمنين عن استقبال بيت المقدس إلى الكعبة، فبين تعالى أن المشرق والمغرب وجميع الجهات والأطراف كلها مملوكة له سبحانه، فأينما أمركم الله باستقباله فهو القبلة، لأن القبلة ليست قبلة لذاتها، بل لأن الله تعالى جعلها قبلة، فإن جعل الكعبة قبلة فلا تنكروا ذلك، لأنه تعالى يدبر عباده كيف يريد، وهو واسع عليم بمصالحهم فكأنه تعالى ذكر ذلك بيانًا لجواز نسخ القبلة من جانب

إلى جانب ءاخر، فيصير ذلك مقدمة لما كان يريد تعالى من نسخ القبلة، وقيل إنه لما حولت القبلة عن بيت المقدس أنكر اليهود ذلك، فنزلت الآية ردًا عليهم، وهو قول ابن عباس.

وعن سعيد بن جبير عن ابن عمر أنه قال: إنما نزلت هذه الآية في الرجل يصلي إلى حيث توجهت به راحلته في السفر. وكان عليه السلام إذا رجع من مكة صلى على راحلته تطوعًا يومئ برأسه نحو المدينة فمعنى الآية ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا ﴿١١٥﴾﴾ وجوهكم لنوافلكم في أسفاركم ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴿١١٥﴾﴾ فقد صادفتم المطلوب ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ ﴿١١٥﴾﴾ الفضل غني، فمن سَعة فضله وغناه رخص لكم في ذلك لأنه لو كلفكم استقبال القبلة في مثل هذه الحال لزم أحد الضررين إما ترك النوافل وإما النزول عن الراحلة والتخلف عن الرفقة، بخلاف الفرائض فإنها صلوات معدودة محصورة فتكليف النزول عن الراحلة عند أدائها واستقبال القبلة فيها

لايفضي إلى الحرج، فبخلاف النوافل فإنها غير محصورة فتكليف الاستقبال يفضي إلى الحرج.

فائدة: إن إضافة وجه الله كإضافة بيت الله وناقة الله والمراد منها الإضافة بالخلق والإيجاد على سبيل التشريف فقوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ١١٥﴾ أي فثم وجهه الذي وجهكم إليه لأن المشرق والمغرب له بوجهيهما والمقصود من القبلة إنما يكون قبلة لنصبه تعالى إياها فوجه الله في الآية معناه قبلة الله التي رضيها لعباده في السفر لمن هو راكبٌ دابةً يريد النفل وهذه الرخصة خاصة براكب الداية يريد النفل فلا يدخل في هذا الحكم راكبو السيارات.

٩ ـ تفسير الآية: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨﴾ [سورة البقرة].

قال الرازي: قوله: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ١٢٨﴾ يفيد الحصر أي نكون مسلمين لك لا

لغيرك وهذا يدل على أن كمال سعادة العبد في أن يكون مسلّمًا لأحكام الله تعالى وقضائه وقدره وأن لا يكون ملتفت الخاطر إلى شيء سواه، وهذا هو المراد من قول إبراهيم عليه السلام في موضع ءاخر: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ ثم هاهنا قولان: أحدهما: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴿١٢٨﴾﴾ أي موحديْن مخلصيْن لا نعبد إلا إياك والثاني: إن اعتبرناهما مع الذرية قائِمين وأما قائميْن فمعناه قائميْن بجميع شرائع الإسلام وهُوَ الأوجه ونقل القرطبي في الجامع لأحكام القرءان قال: قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴿١٢٨﴾﴾ أي ومن ذريتنا فاجعل فيقال: إنه لم يدع نبي إلا لنفسه ولأمته إلا إبراهيم فإنه دعا مع دعائه لنفسه ولأمته لهذه الأمة. ﴿وَمِن ﴿١٢٨﴾﴾ في قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ ﴿١٢٨﴾﴾ للتبعيض، لأن الله تعالى قد كان أعلمه أن منهم ظالمين أي كافرين، وحكى الطبري: أنه أراد بقوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ ﴿١٢٨﴾﴾ العرب خاصة. قال السهيلي: وذريتهما العرب.

١٠ - تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [سورة البقرة].

قال الخازن في تفسيره: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤٥﴾﴾ يعني مرادهم ورضاهم لو رجعت إلى قبلتهم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ ﴿١٤٥﴾﴾ أي في أمر القبلة، وقيل معناه: من بعد ما وصل إليك من العلم بأن أهل الكتاب مقيمون على باطلٍ وعناد للحق ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ يعني أنك إن فعلت ذلك كنت بمنزلة من ظلم نفسه وضرّها، قيل: هذا خطاب للنبي ﷺ والمراد به الأمة لأنه ﷺ لا يتبع أهواءهم أبدًا.

١١ - تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [سورة البقرة].

قال الخازن في تفسيره: ﴿ٱلْحَقُّ ﴿١٤٧﴾﴾ أي الذين يكتمونه هو الحق ﴿مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ

ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ أي من الشاكين في أن الذين تقدم ذكرهم علموا صحة نبوتك، وقيل يرجع إلى أمر القبلة والمعنى أن بعضهم عاند وكتم الحق فلا تشك في ذلك، فإن قلت النبي ﷺ لم يمتر ولم يشك فما معنى هذا النهي؟ قلت هذا الخطاب وإن كان للنبي ﷺ ولكن المراد غيره، والمعنى فلا تشكّوا أنتم أيها المؤمنون.

١٢ - تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴿١٨٦﴾﴾ [سورة البقرة].

ذكر الخازن في تفسيره لباب التأويل: وقوله تعالى: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴿١٨٦﴾﴾ معناه قريب بالعلم والحفظ لا يخفى عليه شىء. وفيه إشارة إلى سهولة إجابته لمن دعاه وإنجاح حاجة من سأله إذا توافرت شروط الدعاء.

وقوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ

﴿١٨٦﴾ الدعاء عبارة عن التوحيد والثناء على الله تعالى كقول العبد يا الله لا إله إلا أنت فقولك يا الله فيه دعاء وقولك لا إله إلا أنت فيه توحيد وثناء على الله تعالى فسمى هذا دعاء بهذا الاعتبار، وسمي قبوله إجابة لتجانس اللفظ وفيه إشارة إلى أن العبد يعلم أن له ربًّا مدبرًا يسمع دعاءه إذا دعاه ولا يخيب رجاء من رجاه. والفخر الرازي قال في تفسيره الكبير: اعلم أنه ليس المراد من هذا القرب بالجهة والمكان بل المراد منه القرب بالعلم والحفظ.

١٣ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ١٩١﴾ [سورة البقرة].

أكثر المفسرين حملوا معنى الفتنة على الكفر والشرك ونقل الفخر الرازي في التفسير الكبير عن ابن عباس قال: إن المراد من الفتنة الكفر بالله تعالى وإنما سمي الكفر بالفتنة لأنه فساد في الأرض يؤدي إلى الظلم والهرج، وفيه الفتنة، وإنما جعل الكفر أعظم من القتل، لأن الكفر ذنب

يستحق صاحبه به العقاب الدائم، والقتل ليس كذلك والكفر يخرج صاحبه به عن الأمة. والقتل ليس كذلك فكان الكفر أعظم من القتل. وهذا يدعم كلامنا في تفسير قوله تعالى في سورة النساء ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا ﴿٩٣﴾﴾ لأن الخلود في جهنم هو للكافر خاصة.

١٤ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [سورة البقرة]. قال الخازن في تفسيره: قوله عزَّ وجلَّ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴿٢٠٨﴾﴾ نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه.

وذلك لما أسلموا أقاموا على تعظيم شرائع موسى فعظموا السبت وكرهوا لحم الإبل وألبانها، وقالوا إن ترك هذه الأشياء مباح في الإسلام وواجب

في التوراة وقالوا أيضًا يا رسول الله إن التوراة كتاب الله دعنا فلنقم به في صلاتنا بالليل، فأنزل الله هذه الآية وأمرهم أن يدخلوا في السلم أي في شرائع الإسلام ولا يتمسكوا بالتوراة فإنها منسوخة، والمعنى استسلموا لله وأطيعوا فيما أمر به.

١٥ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴿٢١٠﴾﴾
[سورة البقرة].

أجمع المعتبرون من العقلاء على أنه سبحانه وتعالى منزه عن المجيء والذهاب بطريق الحركة والانتقال وقد ثبت في علم الأصول أن كل ما يصح عليه المجيء والذهاب بطريق الحركة والانتقال لا ينفك عن الحركة والسكون وهما محدثان وما لا ينفك عن المحدث فهو محدث فيلزم أن كل ما يصح عليه المجيء والذهاب بطريق الحركة والانتقال يجب أن يكون محدثًا مخلوقًا والإله القديم يستحيل أن يكون كذلك. وإذا عرفت

هذا فنقول ذكر أهل الكلام في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴿٢١٠﴾﴾ مذهب السلف الصالح أنه لما ثبت بالدلائل القاطعة أن المجىء والذهاب بطريق الحركة والانتقال على الله تعالى محال، علمنا قطعًا أنه ليس مراد الله تعالى من هذه الآية هو المجىء والذهاب بطريق الحركة والانتقال وأن مراده بعد ذلك شىء ءاخر فعند جمهور المتكلمين المراد بالآية ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴿٢١٠﴾﴾ ءايات الله، فجعل مجىء الآيات مجيئًا له على التفخيم لشأن الآيات. وقيل المراد أمر الله.

١٦ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴿٢١٧﴾﴾ [سورة البقرة].

قال بعض المفسرين هي نظير قوله تعالى ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴿١٩١﴾﴾ وذهب ءاخرون إلى أن معنى الفتنة هنا فتنتهم المسلمين عن دينهم حتى يهلِكوا، وقال الرازي في التفسير الكبير: إنه ذُكِرَ

في الفتنة قولين أحدهما هي الكفر وهذا القول عليه أكثر المفسرين والقول الثاني أن الفتنة هنا هي ما كانوا يفتنون المسلمين عن دينهم تارةً بإلقاء الشبهات في قلوبهم وتارةً بالتعذيب، كفعل المشركين ببلال وصهيب وعمار بن ياسر، وعلى هذا ذهب البعض إلى أن المراد بالفتنة الامتحان.

١٧ - تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ ﴿٢٢٣﴾﴾ [سورة البقرة].

قال الخازن ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴿٢٢٣﴾﴾ أي احذروا أن تأتوا شيئًا مما نهاكم الله عنه ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ ﴿٢٢٣﴾﴾ أي صائرون إليه في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم.

واعلم أنه سبحانه وتعالى لا يوصف بالاتصال والانفصال ولا بالمماسة والملامسة ولا بالاجتماع والافتراق. ولقاء الله حق على معنى أن الخلق صائرون إليه يوم القيامة ليحاسبهم ويجازيهم.

١٨ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴿٢٦٠﴾﴾ [سورة البقرة].

قيل سبب السؤال أنه مع مناظرته من نمرود لما قال ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴿٢٥٨﴾﴾ فأطلق محبوسًا وقتل رجلًا قال إبراهيم: ليس هذا بإحياء وإماتة وعند ذلك قال ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٢٦٠﴾﴾ لتنكشف هذه المسئلة عند نمرود فسأل الله تعالى ذلك، وقوله ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴿٢٦٠﴾﴾ بنجاتي من القتل أو ليطمئن قلبي بقوة حجتي وبرهاني وإن عدولي منها إلى غيرها ما كان بسبب ضعف تلك الحجة بل كان بسبب جهل المستمع، وأحسن ما قيل فيها ليطمئن قلبي أي هل أعطى ذلك إذا طلبته.

١٩ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ﴿٢٧٢﴾﴾ [سورة البقرة].

ذكر الخازن في تفسيره لباب التأويل فقال في تفسير هذه الآية: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ ﴿٢٧٢﴾﴾ أي ليست عليك «أي يا محمد» هداية من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لأجل أن يدخلوا في الإسلام، فحينئذ تتصدق عليهم فأعلمه الله تعالى أنه إنما بُعث بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه، فأما كونهم مهتدين فليس ذلك إليك ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴿٢٧٢﴾﴾ يعني أن الله يوفق من يشاء فيهديه إلى الإسلام، وأراد بالهداية هنا هداية التوفيق، وأما هداية البيان والدعوة فكانت على رسول الله ﷺ. والصحيح أن يقال ليس عليك أي لست مكلفًا بأن تهتدي قلوبهم لأن القلوب لا يملكها أحد إلا الله بل الله هو يهدي القلوب بأن يجعلها مؤمنة مصدقة ولكن الله يهدي من يشاء أي أن الله هو الذي يهدي القلوب فيجعلها مؤمنة أما الرسول فلو أكره إنسانًا بالقتال على الدخول في الإسلام فأظهر الإسلام والإيمان لكن قلبه قد يكون

على خلاف ظاهره فيكون قلبه مكذبًا للدين فليس على الرسول إلا البيان أي الدعوة إلى الإيمان بالله ورسوله وقال تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ معناه يا محمد أنت لا تستطيع أن تجعلهم مؤمنين قلبًا.

٢٠ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴿٢٨٥﴾﴾ [سورة البقرة] . ذكر ابن الجوزي في زاد المسير قال: ومعنى قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴿٢٨٥﴾﴾ أي لا نفعل كما فعل أهل الكتاب ءامنوا ببعض وكفروا ببعض.

وقال الخازن في تفسيره: قوله تعالى: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴿٢٨٥﴾﴾ قال: فهذه أربع مراتب من أصول الإيمان وضرورياته فأما الإيمان بالله فهو أن يؤمن بأن الله واحد أحد لا شريك له ولا نظير له، ويؤمن بجميع أسمائه الحسنى وصفاته العليا وأنه حي عالم قادر على كل شيء، وأما الإيمان بالملائكة فهو أن يؤمن

بوجودهم وأنهم معصومون مطهرون وأنهم السفرة الكرام البررة وأنهم الوسائط بين الله تعالى وبين رسله. وأما الإيمان بكتبه فهو بأن يؤمن بأن الكتب المنزلة من عند الله هي وحي الله إلى رسله، وأنها حق وصدق من عند الله بغير شك ولا ارتياب، وأن القرءان لم يحرّف ولم يبدّل ولم يغيّر، وأنه مشتمل على المحكم والمتشابه وأن محكمه يكشف عن متشابهه، وأما الإيمان بالرسل فهو أن يؤمن بأنهم رسل الله إلى عباده وأمناؤه على وحيه وأنهم معصومون وأنهم أفضل خلق الله، وأن بعضهم أفضل من بعض وقد أنكر بعضهم ذلك وتمسك بقوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴿٢٨٥﴾﴾ وأجيب عنه بأن المقصود من هذه الجملة شىء ءاخر وهو إثبات نبوة الأنبياء والرد على أهل الكتاب الذين يقرون بنبوة موسى وعيسى وينكرون نبوة محمد ﷺ، وقد ثبت بالنص الصريح تفضيل بعض الأنبياء على بعض بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿تِلْكَ

ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴿٢٥٣﴾ ومعنى قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴿٢٨٥﴾ أي لا نفعل كما فعل أهل الكتاب يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض يعني بعد أن كفروا مع تمسكهم لفظًا بالكتابين، بل نؤمن بجميع رسله وفي الآية إضمار وتقدير. وقالوا «يعني المؤمنين» : ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴿٢٨٥﴾ يعني سمعنا قولك وأطعنا أمرك والمعنى قال المؤمنون سمعنا قول ربنا فيما أمرنا به ونهانا عنه ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا ﴿٢٨٥﴾ أي نسألك غفرانك ربنا أو يكون المعنى اغفر لنا غفرانك ربنا ﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ يعني قالوا إليك يا ربنا مرجعنا ومعادنا فاغفر لنا ذنوبنا .

٢١ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴿٢٨٦﴾ [سورة البقرة].

اعلم رحمك الله بتوفيقه أن كثيرًا من الجهال أخذ هذه الآية حجة وذريعة له في كثير من أمور

التكاليف، فترى الواحد منهم مثلًا إن كان مريضًا يشق عليه أمر الصلاة على هيئة كذا قال ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۝٢٨٦﴾ فيترك الصلاة، وشاع استعمال هذه الآية في غير موضعها فإذا بكثير من الجهلة يتركون الواجبات ويتقاعسون عن الفرائض والطاعات متذرعين بهذه الآية، فجهل هؤلاء الناس لكثير من أمور الأحكام كان سببًا في هلاكهم، وما ذلك إلا لتكبرهم عن طلب العلم والتعلم، فنسأل الله السلامة والنجاة والمعافاة والتوفيق والسداد.

ومما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۝٢٨٦﴾ قال ابن الجوزي في زاد المسير: الوسع الطاقة قاله ابن عباس وقتادة ومعناه لا يكلفها ما لا قدرة لها عليه لاستحالته، كتكليف الزَّمِنِ السعي والأعمى النظر. فأما تكليف ما يستحيل من المكلف لا كفقد الآلات فيجوز كتكليف الكافر الذي سبق في علم الله القديم أنه لا

يؤمن فالآية محمولة على القول الأول. ومن الدليل على ما قلناه قوله تعالى في سياق الآية ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴿٢٨٦﴾﴾ فلو كان تكليف ما لا يطاق ممتنعًا أي مستحيلًا كان السؤال عبثًا وقد أمر الله تعالى نبيه بدعاء قوم قال فيهم: ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾ [سورة الكهف]. وقال ابن الأنباري المعنى: لا تحملنا ما يثقل علينا أداؤه، وإن كنا مطيقين له.

٢٢ ـ تفسير قوله تعالى إخبارًا عن عيسى عليه السلام: ﴿أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة ءال عمران] الآية.

جمهور المفسرين على أن الخلق في هذه الآية بمعنى التصوير والتقدير، ولم يخالف في ذلك إلا صاحب بدعة وضلالة وقال صاحب تفسير البحر المحيط أبو حيان الأندلسي في تفسير الآية: ومعنى أخلق أُقدّر وأهيء، والخلق يكون بمعنى الإنشاء

وإبراز العين من العدم إلى الوجود وهذا لا يكون إلا لله تعالى، ويكون بمعني التقدير والتصوير قال تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۝١٧﴾ أي تفترون الكذب، ومما جاء الخلق فيه بمعنى التقدير قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝١٤﴾ أي المقدرين وقال الشاعر:

ولأنت تفري ما خلقت وبعـــض القوم يخلق ثم لا يفري

٢٣ - تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ۝٥٤﴾ [سورة آل عمران].

قال أبو حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط: قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۝٥٤﴾ الضمير في مكروا عائد على من عاد عليه الضمير في ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ ۝٥٢﴾ وهم بنو إسرائيل، ومكرهم هو احتيالهم في قتل عيسى بأن وكلوا به من يقتله غيلة، ومَكْرُ الله مجازاتهم على مكرهم، سمى ذلك مكرًا لأن

المجازاة لهم ناشئة عن المكر كقوله ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ٤٠﴾ [سورة الشورى]. وقوله: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ ١٩٤﴾ [سورة البقرة] وكثيرًا ما تسمى العقوبة باسم الذنب وإن لم تكن في معناه.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٥٤﴾ معناه المجازين على المكر بما يستحق فاعله.

٢٤ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ٥٥﴾ [آل عمران].

قال الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ٥٥﴾ ونظيره قوله تعالى حكاية عنه ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ ١١٧﴾ ﴿مُتَوَفِّيكَ ٥٥﴾ أي متمم عمرك فحينئذ أتوفاك فلا أتركهم حتى يقتلوك بل أنا رافعك إلى سمائي، ومقربك بملائكتي، وأصونك عن أن يتمكنوا من قتلك وهذا تأويل حسن، قال بعض المفسرين لا

بد في الآية من تقديم وتأخير من غير أن يحتاج فيها إلى تقديم أو تأخير قالوا: إن قوله تعالى ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴿٥٥﴾﴾ يقتضي أنه رفعه حيًّا والواو لا تقتضي الترتيب فلم يبق إلا أن يقول فيها تقديم وتأخير والمعنى إني رافعك إليَّ ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد إنزالي إياك في الدنيا ومثله من التقديم والتأخير كثير في القرءان.

والمراد بقوله تعالى ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴿٥٥﴾﴾ أي إلى محل كرامتي وجعل ذلك رفعًا إليه للتفخيم والتعظيم ومثله قوله ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي ﴿٩٩﴾﴾ وإنما ذهب إبراهيم ﷺ من العراق إلى الشام وقد يقول السلطان ارفعوا هذا الأمر إلى القاضي وقد يسمى الحجاج زوار الله والمراد من كل ذلك التفخيم والتعظيم فكذا ههنا.

٢٥ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة آل عمران].

ذكر الخازن في لُبَاب التأويل: وقوله تعالى﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ ﴿٧٣﴾﴾ يعني قل لهم يا محمد إن التوفيق للإيمان والهداية للإسلام ﴿بِيَدِ ٱللَّهِ ﴿٧٣﴾﴾ أي أنه مالك له وقادر عليه دونكم ودون سائر خلقه ﴿يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ ﴿٧٣﴾﴾ يعني الفضل الذي هو دين الإسلام يعطيه من يشاء من عباده ويوفق له من أراد من خلقه وفيه تكذيب لليهود حيث قالوا لن يؤتي الله أحدًا مثل ما أوتي بنو إسرائيل من النبوة فقال الله ردًّا عليهم «قل» لهم: ليس ذلك إليهم وإنما الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

٢٦ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة آل عمران].

قال الإمام الفخر الرازي في تفسير الآية: أما الأول وهو قوله: ﴿لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ

﴿٧٧﴾ فالمعنى لا نصيب لهم في خير الآخرة ونعيمها، واعلم أن هذا العموم مشروط بإجماع الأمة بعدم التوبة، فإنه إن تاب عنها سقط الوعيد بالإجماع وعلى مذهبنا مشروط أيضًا بعدم العفو فإنه تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة النساء].

وأما الثاني وهو قوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ ﴿٧٧﴾﴾ المقصود بيان شدة سخط الله عليهم.

وأما الثالث وهو قوله: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ ﴿٧٧﴾﴾ فالمراد أنه لا ينظر إليهم بالإحسان، يقال فلان لا ينظر إلى فلان، والمراد به نفي الاعتداد به وترك الإحسان إليه، ولا يجوز أن يكون المراد من هذا النظر الرؤية لأنه تعالى يراهم كما يرى غيرهم، ولا يجوز أن يكون المراد من النظر تقليب الحدقة إلى جانب المرئيّ التماسًا لرؤيته، لأن هذا من صفات الأجسام وتعالى إلٰهنا عن أن يكون جسمًا.

وأما الرابع وهو قوله تعالى ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴿٧٧﴾﴾ قيل لا يزكيهم أي لا يثني عليهم كما يثني على أوليائه الأزكياء، واعلم أن تزكية الله عباده قد تكون على ألسنة الملائكة كما قال ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ وقال ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴿٣١﴾﴾ [سورة فصلت] وقد تكون بغير واسطة أما في الدنيا فكقوله ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [سورة التوبة]، وأما في الآخرة فكقوله ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة يس].

وأما الخامس وهو قوله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ فاعلم أنه تعالى لما بيّن حرمانهم من الثواب بيّن كونهم في العقاب الشديد المؤلم.

٢٧ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا

﴿فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ١٤﴾ [سورة النساء].

قال القرطبي: وقوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ١٤﴾ يريد في قسمة المواريث فلم يقسمها ولم يعمل بها ﴿وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ ١٤﴾ أي يخالف أمره ﴿يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا ١٤﴾ والعصيان إن أريد به الكفر فالخلود على بابه، وإن أريد به الكبائر وتجاوز أوامر الله تعالى فالخلود مستعار لمدةٍ مَا كما تقول خلّد الله ملكه وقال زهير: ولا خالدًا إلا الجبال الرواسيا.

٢٨ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ٥٨﴾.

قال الرازي في التفسير الكبير: أي نعم شيء يعظكم به، أو نعم الذي يعظكم به، والمخصوص بالمدح محذوف، أي نعم شيء يعظكم به ذاك، وهو المأمور به من أداء الأمانات والحكم بالعدل.

٢٩ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة النساء].

ما أصابك أي هنا تقدير أي الكفار يقولون أو قالوا للنبي وما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك أناس أظهروا الإسلام ثم لما لم يحصل لهم سعة في العيش بل أصابهم مَحْلٌ وضيق قالوا للنبي اعتراضًا وذمًّا له ما أصابك أي يا محمد من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك أي فمن شؤم فعلك، فالخطاب هنا للنبي بدليل ما بعده ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًاۚ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة النساء] وهذا التفسير الصحيح الذي ذكره السيوطي وغيره. والصواب في المعتقد أن ما أصاب الرسول من حسنة أي من نعمة ومن سيئة أي مصيبة كل من الله هنا السيئة هي المصيبة في الدنيا في الجسم والمال.

٣٠ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ

عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [سورة النساء].

قال ابن الجوزي في تفسيره: قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴿٩٣﴾﴾ سبب نزولها أن مقيس بن صبابة وجد أخاه هشام بن صُبابة قتيلاً في بني النجار وكان مسلمًا، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فأرسل رسول الله رسولا من بني فهر، فقال له: «**إيت بني النجار فأقرئهم مني السلام، وقل لهم: إن رسول الله ﷺ يأمركم إن علمتم قاتل هشام فادفعوه إلى مقيس بن صبابة وإن لم تعلموا له قاتلاً فادفعوا إليه ديته**» فأبلغهم الفهر ذلك، فقالوا «والله ما نعلم له قاتلاً، ولكنا نعطي ديته فأعطوه مائةً من الإبل ثم انصرفا راجعين إلى المدينة، فأتى الشيطان مقيس بن صُبابة فقال: تقبل دية أخيك فيكون عليك سُبَّة ما بقيتَ اقتل الذي معك مكان أخيك فرمى الفهريّ بصخرة فشدخ رأسه ثم ركب بعيرًا منها، وساق بقيتها راجعًا إلى

مكة. فنزلت هذه الآية، ثم أهدر النبي ﷺ دمه يوم الفتح فقتل، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والصواب في تفسير هذه الآية أنها تحمل على من قتل مسلمًا مستحلاً لقتله، وما سواه فهو تكلف لا معنى له.

٣١ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة النساء].

قال الرازي في تفسيره: اتفق المفسرون على أن أكثر هذه الآيات نزلت في طعمة بن أَبيرِق، ثم في كيفية الواقعة روايات: أحدها أن طعمة سرق درعًا فلما طُلبت الوديعة منه رمى واحدًا من اليهود بتلك السرقة، ولما اشتدت الخصومة بين قومه وبين قوم اليهودي جاء قومه إلى النبي ﷺ وطلبوا منه أن يعينهم على هذا المقصود وأن يلحق هذه الخيانة باليهودي، فَهَمَّ الرسول عليه الصلاة والسلام لذلك

فنزلت الآية، وثانيها: أن واحدًا وضع عنده درعًا على سبيل الوديعة ولم يكن هناك شاهد، فلما طلبها منه جحدها، وثالثها:أن المودع لما طلب الدرع زعم أن اليهودي سرق الدرع.

وأما قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾ فقد فسره بعض أهل العلم بقوله: لعل القوم لما شهدوا على سرقة اليهودي وعلى براءة طعمة من تلك السرقة ولم يظهر للرسول ﷺ ما يوجب القدح في شهادتهم همَّ بأن يقضي بالسرقة على اليهودي ثم لما أطلعه الله تعالى على كذب أولئك الشهود عرف أن ذلك القضاء لو وقع لكان خطأً .فكان استغفاره بسبب أنه همَّ بذلك وإن كان معذورًا عند الله فيه. وقيل قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَۖ ﴿١٠٦﴾﴾ يحتمل أن يكون المراد: واستغفر الله لأولئك الذين يذبّون عن طعمة ويريدون أن يظهروا براءته عن السرقة. وأكثر استغفار الرسول ﷺ لم يكن عن معصيةٍ، ومع هذا

كان يكثر من الاستغفار كان كل يوم يستغفر، بل كان يستغفر للترقي من مقام إلى أعلى ومن ظن أن الاستغفار لا يكون إلا من معصية فقد بَعُدَ عن الحقيقة.

٣٢ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة المائدة].

قال الخازن في تفسير الآية إن اليهود لما أنكروا حكم الله تعالى المنصوص عليه في التوراة وقالوا إنه غير واجب عليهم فهم كافرون على الإطلاق بموسى والتوراة وبمحمد ﷺ والقرءان، وكانوا أي اليهود قد أنكروا الرجم والقِصاص.

واختلف العلماء فيمن أنزلت هذه الآيات الثلاث وهي قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة المائدة] ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ

﴿٤٥﴾ [سورة المائدة] ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة المائدة] فقال جماعة من المفسرين إن الآيات الثلاث نزلت في الكفار لأن المسلم وإن ارتكب كبيرة لا يقال إنه كافر وهذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك، ويدل على صحة هذا القول ما روي عن البراء بن عازب قال أنزل الله تبارك وتعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ في الكفار كلها أخرجه مسلم. وقال مجاهد في هذه الآيات الثلاث من ترك الحكم بما أنزل الله ردًّا لكتاب الله فهو كافر، ظالم، فاسق.

وقال عكرمة: «من أقر به أي بالحكم بغير ما أنزل الله فهو ظالم فاسق». وقال طاوس قلت لابن عباس أكافر من لم يحكم بما أنزل الله فقال به كفر

وليس بكفر ينقل عن الملة كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ونحو هذا روي عن عطاء قال: «هو كفر دون الكفر».

٣٣ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة المائدة].

قال الخازن: قوله عزَّ وجلَّ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴿٦٤﴾﴾ نزلت هذه الآية في فَنْحَاص بن عازوراء اليهودي. قال ابن عباس: إن الله كان قد بسط على اليهود حتى كانوا أكثر الناس أموالا وأخصبَهم ناحية، فلما عصوا الله ومحمدًا ﷺ وكذبوا به كف عنهم ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص يد الله مغلولة يعني محبوسة مقبوضةٌ عن الرزق والبذل والعطاء، فنسبوا الله تعالى إلى البخل والقبض، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا، ولما قال هذه المقالة الخبيثة فنحاص ولم ينهه بقية اليهود ورضوا بقوله لا جرم أن الله

تعالى أشركهم معه في هذه المقالة فقال تعالى إخبارًا عنهم ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴿٦٤﴾﴾ يعني نعمته مقبوضة عنا.

واعلم أن غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجُود بدليلِ قولِه تعالى لنبيه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴿٢٩﴾﴾ والسبب أن اليد ءالةٌ لكل الأعمال لاسيما لدفع المال وإنفاقِه وإمساكِه فأطلقوا اسم السبب على المسبَّبَ، وأسندوا الجود والبخل إلى اليد مجازًا، فقيل للجواد الكريم فَيَّاضُ اليد ومبسوط اليد، وقيل للبخيل مقبوض اليد.

وقوله تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ﴿٦٤﴾﴾ قال الزجاج رد الله عليهم فقال: أنا الجواد الكريم وهم البخلاء وأيديهم هي المغلولة الممسوكة، وقيل هذا دعاء على اليهود علمنا الله كيف ندعو عليهم فقال :﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴿٦٤﴾﴾ أي في نار جهنم، فعلى هذا هو من الغُلّ حقيقة أي

شُدَّت أيديهم إلى أعناقهم وطرحوا في النار جزاء لهم على هذا القول ومعنى ﴿وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ﴿٦٤﴾﴾ عذبوا بسبب ما قالوا، فمن لعنتهم أنهم مسخوا في الدنيا قردة وخنازير، وضربت عليهم الذلة والمسكنة والجزية، وفي الآخرة لهم عذاب النار. وقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ يعني أنه تعالى جَوَاد كريم ينفق كيف يشاء، وهذا جواب لليهود وَردٌّ عليهم ما افتروا واختلقوه على الله، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا، وإنما أجيبوا بهذا الجواب على قدر كلامهم.

قال أبو حيان في البحر المحيط: معتقد أهل الحق أن الله تعالى ليس بجسم ولا جارحة، ولا يشبَّه بشيء من خلقه، ولا يُكيَّف ولا يتحيز ولا تحله الحوادث وكل هذا مقرر في علم أصول الدين، والجمهور على أن هذا استعارة عن جوده وإنعامه السابغ، وأضاف ذلك إلى اليدين جاريًا على طريقة العرب في قولهم فلان ينفق بكلتا يديه

ومنه قوله:

يَـدَاكَ يَـدا مُـجِـدٌ فـكَـفٌ مـفـيـدَةٌ
وكـفٌّ إذا مـا ضُـنَّ بـالـمـالِ تُـنْـفِـقُ

ويؤيد أن اليدين هنا بمعنى الإنعام قرينة الإنفاق، ومن نظر في كلام العرب عرف يقينًا أن بسط اليد وقبضها استعارة للجود والبخل، قال الشاعر:

جادَ الحمى بَسْطَ اليدين بوابِلٍ
شَـكَـرَتْ نَـدَاهُ تِـلاعُـهُ وَوِهـادُه

وقال لبيد:

وَغـداةَ رِيـحٍ قـد وَزعْـتَ وِقـرَّةٍ
قد أصبحتْ بيد الشِمالِ زِمامُها

٣٤ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ

﴿قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة المائدة].

قال الخازن: قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴿٨٢﴾﴾ اللام في قوله لتجدن لام القسم، وتقديره والله يا محمد إنك لتجدن أشد الناس عداوة للذين ءامنوا بك وصدقوك اليهود والذين أشركوا، وصف الله شدة عداوة اليهود وصعوبة إجابتهم إلى الحق وجعلهم قرناء المشركين عبدة الأصنام في العداوة للمؤمنين، وذلك حسدًا منهم للمؤمنين ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ قيل: نزلت في أناس من أهل الكتاب ءامنوا بالرسول فأثنى عليهم قيل هو النجاشي وأصحابه، تلا عليهم جعفر ابن أبي طالب حين هاجر إلى الحبشة سورة مريم، فآمنوا وفاضت أعينهم من الدمع، وقيل: هم وفد النجاشي مع جعفر إلى الرسول ﷺ وكانوا سبعين

بعثهم إلى الرسول عليهم ثياب الصوف اثنان وستون من الحبشة وثمانية من الشام، وهم بحيرا الراهب وإدريس وأشرف وثمامة وقثم ودريد وأيمن، فقرأ عليهم الرسول ﷺ يس فبكوا وءامنوا وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى فأنزل الله هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ ﴿٨٢﴾﴾ يعني من النصارى ﴿قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ ولم يرد كل النصارى بل الآية نزلت فيمن ءامن من النصارى كالنجاشي وأصحابه. والقس والقسيس اسم رئيس النصارى والجمع قسيسون، وأما الرهبان فهو جمع راهب وقيل الرهبان واحد وجمعه رهابين وهم سكان الصوامع.

٣٥ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ ﴿٩٤﴾﴾ [سورة المائدة].

قال الخازن: نزلت هذه الآية عام الحديبية، وكانو محرمين فابتلاهم الله بالصيد، فكانت الوحوش تغشى رجالهم من كثرتها، فهموا بأخذها وصيدها، فأنزل الله هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ ﴿٩٤﴾﴾ اللام في ليبلونكم لام القسم أي ليختبرن طاعتكم من معصيتكم والمعنى يعاملكم معاملة المختبر بشيء من الصيد يعني صيد البر دون البحر. وقيل أراد الصيد في حالة الإحرام دون الإحلال، وإنما قال ﴿بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ ﴿٩٤﴾﴾ ليُعلم أنه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تزل عندها أقدام الثابتين ويكون التكليف فيها صعبًا شاقًا كالابتلاء ببذل الأموال والأرواح، وإنما هو ابتلاء يسهل كما ابتلي أصحاب السبت بصيد السمك فيه، لكن الله عزّ وجلّ بفضله وكرمه عصم أمة محمد ﷺ فلم يصطادوا شيئًا في حالة الابتلاء ولم يعصم أصحاب السبت فمسخوا قردة وخنازير.

وقوله تعالى: ﴿تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ ﴿٩٤﴾﴾ يعني

الفرخ والبيض وما لا يقدر أن يفر من صغار الصيد ﴿وَرِمَاحُكُمْ ﴿٩٤﴾﴾ يعني كبار الصيد مثل حمر الوحش ونحوها. وقوله﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ﴿٩٤﴾﴾ قيل هذا مجاز لأن الله تعالى عالم لم يزل ولا يزال واختلفوا في معناه فقيل نعاملكم معاملة من يطلب أن يعلم وقيل ليُظهِرَ المعلوم أي ما يعلمه وهو خوف الخائف وقيل هذا على حذف المضاف والتقدير: ليعلم أولياء الله من يخافه بالغيب، هو في المعنى واحد والأول أرجح.

٣٦ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴿١١٢﴾﴾ [سورة المائدة].

قال القرطبي: وقيل إن القوم أي الحواريين- لم يشكوا في استطاعة البارئ سبحانه لأنهم كانوا مؤمنين عارفين عالمين، وإنما هو كقولك للرجل: هل يستطيع فلان أن يأتيَ وقد علمت أنه يستطيع، فالمعنى: هل يفعل ذلك؟ وهل يجيبني إلى ذلك أم

لا؟ وقد كانوا عالمين باستطاعة الله تعالى لذلك ولغيره عِلم دلالة وخبر ونظر فأرادوا علم معاينة كذلك، كما قال إبراهيم ﷺ ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٢٦٠﴾﴾ وقد كان إبراهيم علم ذلك عِلم خبر ونظر، ولكن أراد المعاينة التي لا يدخلها ريب ولا شبهة، لأن علم النظر والخبر قد تدخله الشبهة والاعتراضات وعلمَ المعاينة لا يدخله شيء من ذلك، ولذلك قال الحواريون ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا ﴿١١٣﴾﴾ كما قال إبراهيم عليه السلام ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴿٢٦٠﴾﴾. ليس معناه أن علم إبراهيم يحتمل الشك.

٣٧ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾.

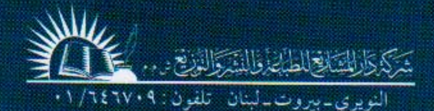
قال القرطبي: اختلف أهل التأويل في معنى هذا السؤال ـ وليس هو باستفهام وإن خَرج مخرج الاستفهام ـ على قولين أحدهما: أنه سأله عن ذلك توبيخًا لمن ادّعى عليه ليكون إنكاره بعد السؤال أبلغَ في التكذيب وأشدَّ في التوبيخ والتقريع.

الثاني: قصد بهذا السؤال تعريفَه أن قومه غيروا بعده وادعوا عليه ما لم يقله. فإن قيل: فالنصارى لم يتخذوا مريم إلهًا فكيف قال ذلك فيهم؟ فقيل: لما كان من قولهم أنها لم تلد بشرًا وإنما ولدت إلهًا لزمهم أن يقولوا إنها لأجل البعضية بمثابة من ولدته، فصاروا حين لزمهم ذلك بمثابة القائلين له. اهـ.

قال بعض المفسرين: وقوله تعالى إخبارًا عن عيسى عليه السلام ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ ﴿١١٦﴾﴾ يعني تنزيهًا لك عن النقائص وبراءة لك من العيوب، وقوله ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴿١١٦﴾﴾ أي لا أدعي لنفسي ما ليس من حقها، يعني أنني مربوب ولست بربّ وعابدٌ ولست بمعبود، ثم

قال ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ ﴿١١٦﴾﴾ أي تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك وقيل المعنى تعلم ما أعلم ولا أعلم ما تعلم. ليس المعنى أن الله له نفس بمعنى الروح بل الله هو خالق الروح وخالق الجسد، الله ليس روحًا وجسدًا ولا هو روحٌ فقط ولا هو جسدٌ بلا روح .﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ ما كان وما يكون وما لم يكن وما هو كائن.

الفهرس


شركة دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
النويري - بيروت - لبنان تلفون: ٠١/٦٤٦٧٠٩


ISBN 9953-20-053-X
9789953 200538


المكتبة التخصصية للرد على الوهابية